الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أدرار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الشريعة

موقف بعض المعاصرين من صحيح البخاري

(عدنان ابراهيم انموذجا- **دراسة** نقدية)

مذكرة لاستكمال متطلبات الماستير في علوم الحديث

إعداد الطالب:

✍- مصطفى حاج قويدر

إشراف الأستاذ الدكتور:

📖 - **محمّد خالد اسطنبولي**

لجنة المناقشة

محمد خالد اسطنبولي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
عاشور بوقلقولة	أستاذ محاضر أ	رئيسا
مراد صغير	أستاذ مساعد	مناقشا

العام الجامعي

1438هـ - 2017م

المطلب الثالث: الأحاديث المنتقدة بدعوى مخالفة العلم التجريبي

- **حديث: لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قال النَّبِيّ ρ: ((لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ[1] اللَّحْمُ وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا))[2]

وجه الاعتراض

1- الجزء الأوّل: من الحديث يتعارَضُ مع العلمِ التَّجريبي، فالحديثُ جعل بني إسرائيل سَبَباً لتَلَفِ اللَّحم، بينَما اللَّحمُ يَنتُنُ بسبب جرثومي ميكروبي.

2- الجزء الثاني: يخالف القرآن الكريم لأنّه يحُطُّ من كرامة المرأة وينسِبُ الخيانَة لحواء؛ موافِقا في ذلك للأساطير التوراتية و الإسرائيليات.

أوّلًا: نَتَنُ اللَّحم

فهوم العلماء

قال الحافظ العراقي: " يُحتمَلُ أنَّ التَّغيُّر كان قديماً قبلَ وُجودِ بني إسرائيل، سبَبُه ما علِمَه اللهُ ممَّا يحدُثُ من بني إسرائيلَ بعد ذلك والله أعلم"[3].

وقال الحافظُ : "قوله ((لولا بنو إسرائيل لم يَخنَزِ اللّحم))، قيل أصله أنَّ بني إسرائيل ادَّخروا لحم السَّلوى وكانوا نُهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك،.. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنُّوا ادِّخار اللَّحم حتى أنتن لما ادُّخِرَ فلم ينتن...".[4]

وقريبٌ منهُ ما ذهب إليه العينيُّ إذ قال: "... وعن قتادة كان المَنُّ والسَّلوى يَسقُط على بني إسرائيل من طلوعِ الفجرِ إلى طُلوع الشّمس كسقوطِ الثّلج، فيؤخَذُ منه بقَدْر ما يُغْني ذلك اليومَ إلاَّ يومَ الجُمعة فإنَّهم يأخذون له وللسَّبت، فإن تَعَدَّوا إلى أكثرَ من ذلك فَسَدَ ما ادَّخرُوا، فكان ادِّخارُهم فساداً للأطعمة عليهم وعلى غيرهم؛ وقال بعضهم: لما نزَلَت المائدةُ عليهم أُمِرُوا أن لا يَدَّخِروا فادَّخَروا؛ وقيل: يُحتمَل أن يكونَ من اعتدائهم في السَّبت، وقيل: كان سببُه أنّهم أُمِروا بترْك ادِّخار السَّلوى فادَّخروه حتى أنتَنَ فاستمَرَّ نتْنُ اللُّحوم من ذلك الوقت، أو لمّا صار الماءُ في أفواههم دماً وانتنوا بذلك سرى ذلك النّتْن إلى اللَّحم وغيره عقوبة لهم؛ وفي الحلية

---

[1] - خَنِز: أي ما أنتن، يقال خنِز يخنَز، وخزِن يخزَن إذا تغيَّرت ريحُه. النهاية في غريب الحديث، ص 403.

[2] - البخاري [ك. أحاديث الأنبياء، ب. قول الله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة).(3365)].[ك. أحاديث الأنبياء، ب. قول الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)،(3435)] وفي أخره لفظ ((الدهر)) . ومسلم [ك. الرضاع، ب. لولا حواء لم تخن أنثى زوجها.(3724)] بزيادة ((ولم يخبث الطعام)).

[3] - طرح التثريب (63/7).

[4] - فتح الباري (424/6).

لأبي نعيم عن وهب ابن منبه قال: وجدتُ في بعض الكُتُب عن الله تعالى لولا أنِّي كتَبْتُ الفناء على الميْت لحبسه أهلُه في بيوتِهم، ولولا أنِّي كتبتُ الفسادَ على الطَّعامِ لخَزَنتْه الأغنياءُ عن الفقراء"[1].

أوجه ردِّ الاعتراض:

من خلال ما سبق من نقول العلماء يمكن أن نتبيَّن لعلماء رأيين في شرح الحديث[2]:

1- حمل الحديث على ظاهرِه، فيكون المعنى أنّ بني إسرائيل كانوا هم السّببُ في تقدير الله Y الفساد والنّتْن على اللحم المدّخر عقابا لهم من الله تعالى، بعد أن كان اللحم قبلَهم لا يفسُد ولا يتغيّر بالادخار، ثمَّ استمرَّ هذا إلى اليوم، وهو رأي طائفة من العلماء كالقاضي عياض والكرماني والقرطبي وغيرهم.

2- تأويل الحديث إلى معنى قريبٍ من لفظِه، دون الحمْلِ له على ظاهرِه من أنّ سبَبَ الانتان والتغَيُّر يعود لعصيان بني إسرائيل، وذلك نظراً للقرائن الدّالة على حدوث التغيُّرِ في اللَّحم قبل ذلِك. وأنَّ التغيُّر في اللَّحم كان بسبَبِ ادِّخارِهم له، لأنَّه لم يُعهَد عندهم ادِّخارُ اللَّحمِ فلم يُعرَف أنّ اللَّحم يَتَغَيّرُ بطول المكث؛ وهو ما أشار إليه الحافظُ في النقل السابق عنه:" وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سَنُّوا ادِّخارَ اللَّحم حتَّى أنتن لما ادُّخِر فلم ينتن...." ووافقَه عليه الأُبي وغيره.

وهذا المسلك هو القولُ الرَّاجِحُ الذي ارتضاه كثير من المعاصرين؛ لأنَّ فيه الخروجَ من إشكالات كثيرة في فهم الحديثِ؛ وهذا الرأي تسانده دلالة اللفظ اللغوية كما تُعضّدُه شَواهِدُ الواقع المعيش والمشاهَد؛ ولا يناقِضُ بحالٍ أبدا حقائق العلم .

يقول الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب:" إنَّ حُجَّتَنا في صحّة هذا الحديث أنَّه قد رواه الثِّقات عن رسول اللهρ ويُقوِّي صِحّتَه ما بيَّنه العلماء من أسباب معقولة في كون بني إسرائيل كانواْ سبباً في إفساد الطعام بجشعِهم وأنانيَّتِهم وحبِّهم للحياة – وهذا سجّلَه القرآن الكريم- وادّخارِهم الطعامَ ليفسُد؛... وإذا كان الأمر كذلك فبأيِّ حجَّةٍ نرُدُّ الحديثَ الصَّحيحَ، أبالوَهْم الذي رَدَّه به أمثال هؤلاء؟ فالحديثُ لم يتعرَّض للأسباب الطبيعية، ولا لتحلُّل الأشياء؛ وإنّما يهدِف إلى أنّ بني إسرائيلَ سنُّو عادةً سيئةً، وكانوا القدوة فيها"[3]. فالحديث يبين طبيعة من طبائع بني إسرائيل اشتهروا بها في واقع الحال، هي حبهم للمال وللكنز والادخار، وتفضيلهم فساد ما يكنزون على أن يفيد منه غيرهم، أياً كان هذا الغير، فالحديث لا يبيّن ولا يشير إلى أنّهم سبب وجود البكتيريا التي تفسد اللحم، فهذا فهم مغلوط للنص، وإنما يبيّن طبيعة اختصوا بها عن غيرهم، حتى إنهم يدّخرون ما لا

---

[1] - عمدة القاري (291/15).

[2] - مقال: " شبهات المعاصرين حول حديث ((لولا بنو إسرائيل لم يخنَز اللحم)) –عرض ونقد- "، نبيل أحمد بلهي الجزائري، مجلة الميزان للدراسات افسلامية والقانونية، مج1، عدد2، رجب 1435هـ/ أيار 2014م.ص 504،503

[3] - صحيفة همّام بن منبّه عن أبي هريرة، تحـ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ص 203.

يصح ادخاره كاللحم الذي يفسد، ولعلّه في ذلك الزمان ولا يوجد عندهم مبدأ ادّخار اللحوم أصلاً، حتى جاء بنو إسرائيل وادّخروا ما لم يدّخر قبلهم؛ أي إنهم هم الذين سنّوا سنة سيئة هي ادّخار اللحم وعدم إتاحة الفرص لغيرهم للانتفاع به.

ونظرة سريعة لواقع حالنا، وما نعايشه نحن بالذات من تاريخ طويل مع هؤلاء، نجد قناعة تامة بهذا الحديث، وما ذكره من صفات لبني إسرائيل، وأنّ هذا شأنهم إلى الآن، ففساد ونتن ما لا يحتاجونه مما ينتفع به غيرهم، أحبُّ إليهم من أن ينتفع به غيرهم، والله أعلم.

أمّا إذا بحثنا عن المدلول اللُّغوي للفظ المُشكِل في الحديث؛ فإنّا نجِد معنى يَخْنَز: هو ما يفسُد بسبب الادّخار والخَزْنِ خاصة؛ وليس معناها هو : مُطلقُ الفساد. يُقالُ: إذا عَتُقَ اللحمُ فتغيّر : خَنِزَ وخَزِنَ[1]؛ ومنه (الخُنَّاز): اليهود الذين ادّخروا اللّحم حتى خَنِز[2]؛ مِمَّا يؤكِّدُ علاقةَ اللّفظ (خَنِز) بالفساد الناتج عن الادِّخار خاصة.

ثم يُعقِّبُ الشريف حاتم العوني بقولِه: " وهذا الحديث هو أحَدُ الأحاديث الصّحيحةِ التي يَطْعَن بعضُ المتعجِّلين فيها، ويجْعلُون الطَّعنَ فيها سبيلاً للطَّعن في المنهج النّقدي للمحدثين، باستنكارهم لمعنى هذا الحديث، الذي تضمن (حسب رأيهم) خبرًا يكذبه العقل أوضح تكذيب، وهو أن اللَّحمَ وكلَّ طعامٍ لا يَقبَل الادّخارَ لا بُدّ من أن يَفْسُدَ، وهذا مما تُدركُه العقولُ بَداهةً: أن اللَّحم لا بُدّ أن يفسُد ، وأنّه كذلك منذ أن وُجدَ اللحمُ ، وأنَّه لا علاقة لذلك ببني إسرائيل !

يقول هؤلاء: فأدنى إعمالٍ للعقل وأول انتباهٍ للتجربة المتيقَّنة: سيدُلُّ على كذب هذا الخبر ، وأنه لا يمكن أن يكون قد صدر عن الصادق المصدوق رسول اللهρ ؛ ولا شكَّ أنه لو كان معنى الحديثِ هو ما ذهبوا إليه لكان خبرًا بَيِّنَ الافتراء ظاهرَ البُطلان، حتَّى لا يكاد يختلف في كذبِه رجلان! هذا صحيح، ولا يشك في صحته عاقل !!

فهل صحَّحَه المحدِّثون –وعلى رأسهم الشيخان– رغم هذا البطلان الظاهر ؟! وهل يَتَصَوَّر عاقلٌ أنّ بعض أذكياء العالم (كهؤلاء الأئمة) قد صحَّحوا هذا الحديثَ بهذا المعنى الفاسدِ ؟! فإن لم يكونوا من الأذكياء، فهلا حسبناهم من جُملَةِ العُقلاءِ الذين يُدرِكون فسادَ هذا المعنى من معناه ببديهة العقل وقَطْعِيّةِ التجربة ؟!! إذن فأول خُطا إنصاف المحدّثين هي الخطوة التي تُخرجهم من جملة المجانين إلى جملة العقلاء؛ لأنهم عُقلاء !! لتَمنَعَ عنهُم تصديقَ معنًى تُدركُ بدائِهُ العقول فسادَه !!

---

[1] - الكامل في الأدب واللغة، ابن المبرّد، (1004/2).

[2] - تهذيب اللغة،أبو منصور محمد بن احمد الأزهري(ت370هـ)، تحـ. عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م، (209/7).

وهذه الخطوةُ ليست خُطوةً عاطفيةً، ولا خُطوةً تقومُ على تنزيه الأئمَّةِ من كلِّ الخطأ، ولا هو حكمٌ بعِصمتِهم؛ إلا إذا لم يكن هناك فرقٌ بين حُكمٍ بالعِصمة وحُكمٍ بالعقلِ وعدم الجنون فقط! فهي إذن خطوةٌ تُنزِّهُهُم من خطأٍ لا يَقَع إلاَّ من فاقدِ العقل، وهؤلاءِ الأئمَّة عقلاءُ (وسادةُ العقلاء)، فصار واجبُ العقلِ نفسِه (لا العاطفة) هو ما يُوجبُ تنزيهَهُم من مثل هذا الخطأ؛ وصار اتِّهامُهم بمثل هذا الخطأ اتهاما غير عقليٍّ، فلا يقبَلُه العقل .. العقلُ نفسُه الذي يَتذَرَّع به من أوْردَ هذا المعنى إلى تصحيح المحدثين لهذا الحديث .

إذن (وبمقتضى العقل) لا يمكن أن يكون المقصود بالحديث أنَّ اللَّحم لم يكن يَفسُد بتاتاً قبل بني إسرائيل، فهذا لا يُمكِنُ أن يتصوَّره عاقلٌ؛ ولا يُمكنُ أن يخفى شيءٌ من ذلك على أبي هريرةτ(راوي هذا الحديث)، ولا على غير واحدٍ من التّابعين ممَّن رَوَوْه عنه، ولا على من جاء بعدهم، ولا على البخاريّ ومسلم وغيرِهما ممَّن قَبِل الحديثَ وصحَّحَه؛ فلا يمكن أن يَرْوُوا هذا الحديث (مُحتمِلِين فيه القبولَ والصحة) بمعنى يُكذِّبه العقلُ والحسُّ كلَّ هذا التَّكذيبِ الظَّاهر، الذي لا يَتَرَدَّد العقلاءُ في تكذيبه، حِسًّا وعقلا !!

وممّا يزيدُ القَلْبَ اطْمِئْناناً وَتَوثُّقاً أنَّ هذا الحديثَ مَرويٌّ في صحيفة همَّام بن مُنبِّه التَّابعيّ الجليل الذي كتب ما سمعه عن أبي هريرة، ودوّنه في صحيفته الملقّبه بـ(الصحيفة الصحيحة) لشدة إتقانها، لتُبعد كتابةُ هذا الحديث عنه احتمالَ وقوع الغلط بسبب النسيان، فكيفَ إذا رواه مع همام غيره من ثقات التابعين عن أبي هريرة رضي الله عنه ؟!! فدعوى عدم الكتابة التي يتذرّع بها المشكِّكُون في إتقان المحدِّثين غير مُتحقِّقةٍ هنا، وانفرادُ الرُّواة به عن الصحابي الذي لا يحسن الاستفادة منها المتسوّرون على نقد الحديث ليس متحقّقًا هنا أيضًا .

مثل هذا التتابع على الرواية يمنَعُ العقلُ (قبل غيره) وقوعَ الغَلَطِ فيه، ومَا بقيَ عقلاً مجرّدًا إلا اتهامُ أبي هريرةρ بالخطأ أو الكذب، وقد أجبنا –الكلام لحاتم العوني– آنفا عن احتمال الكذب، والتخطيء هو فرع استنكار اللَّفظِ الدّالِّ على المعنى الباطِلِ الموجبِ للردّ والتَّخطيء؛ فإذا رَدَدْنا على سبب التكذيب، فقد رددنا على سبب التخطيء أيضًا .

فبأي دليلٍ عقليٍّ يَرِدُ احتمالُ الوهم أو الكذِبِ في هذا الحديث ؟!! لا أجدُ إلا عَدمَ التَّفريقِ بين الجهل والعلم، وعدمَ التفريق بين أمرين: دلالةِ العقل الصحيحة، وخداعِ الأمزجةِ والأهواء[1] .

ثانياً: خيانة حوّاء

فهوم العلماء

[1] ـ مقال: " حديث من الأحاديث التي يُطعَنُ بها على المنهج النقدي للمحدّثين "لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ" الدكتور حاتم العوني، متاح على شبكة الانترنيت موقع مركز نماء.
http://nama-center.com/m/ActivitieDatials.aspx?ID=130

قال الحافظ ابن حجر: وقوله ((لم تخن أنثى زوجها)) فيه إشارةٌ إلى ما وقعَ من حوَّاء في تزيينِها لآدم الأكلَ من الشَّجرَة حتّى وقع في ذلك، فمعنى خيانتِها أنَّها قَبِلَت ما زَيَّن لها إبليسُ حتَّى زيَّنَتْه لآدم، ولما كانت هي أمَّ بنات آدم أشبَهْنَها بالولادة ونَزْعِ العرْق، فلا تكاد امرأةٌ تسْلَمُ من خيانةِ زوجِها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكابُ الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهْوة النَّفس من أكل الشجرة وحَسَّنَت ذلك لآدم عُدَّ ذلك خِيانةً لهُ، وأمَّا من جاء بعدَها من النِّساء فخيانةُ كلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ بحَسَبِها؛ وقريبٌ من هذا((جحد آدمُ فجحدت ذرِّيَّتُه))[1]؛ وفي الحديث إشارةٌ إلى تسلية الرِّجال فيما يقَعُ لهم من نسائِهِم بما وَقَعَ من أُمِّهِنَّ الكبرى، وأنَّ ذلك من طَبْعِهِنَّ فلا يُفْرَط في لوْمِ من وقَعض منها شيْءٌ من غَيْرِ قَصْدٍ إليه أو على سبيل النُّذُور، وينبغي لهُنَّ ألاَّ يتمكَّن بهذا في الإسترْسَال في هذا النَّوع بل يَضبَطْنَ أَنفُسَهُنَّ ويُجاهدن هواهُنَّ"[2].اهـ

ردُّ الاعتراض:

1- الحديث مروي من طريق معمر، عن همّام بن منبه، عن أبي هريرة وهذا السّندُ قيل فيه أنَّه أصحُّ أسانيد اليمانيين[3]، وهو أيضاً ممّا اتّفق عليه الشيخان، وادّعاء أنّ أبا هريرة رواه عن أهل الكتاب، أو أنَّه من الإسرائيليات التي جاء بها همّام بن مُنبّه لا يَستَنِدُ لأيّ أساسٍ علميٍّ، بل إنّ طُرُق الحديث الأخرى تَرُدُّ هذه الدعوى، فلقد تابَع همَّاماً على هذا الحديث كلٌّ من محمّدَ بنَ سيرين[4]، وخِلاس بن عمرو الهَجَريّ[5] وغيرهما، وهؤلاء ليسَا بمَعْدودَيْن من الآخذين عن أهل الكتاب[6]؛ وطالما أن أهل الحديث وجَّهوهُ وتأوَّلُوا فهمَه بما يوافِقُ كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ كما إنّ هناك كثيراً من نصوصِ القرآن وردت موافقةً للتّوراة، فهل يعني ذلك أن نَردَّ نصوصَ القرآن؟!

---

[1] - سنن الترمذي [ك. تفسير القرآن عن رسول الله ρ، ب. ومن سورة الأعراف، (3356)].و[ك. تفسير القرآن عن رسول الله ρ، ب. (3694)]. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِىَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّρ.

[2] - فتح الباري (368/6). وينظر: شرح النووي (59/10).

[3] - ينظر: الموقظة، الذهبي، تحـ. أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1412هـ، ص 25.

[4] - أخرجه الحاكم في المستدرك [ك. البر والصلة، (7419)،] (291/4). قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. (والحق أنّهما أخرجاه)

[5] - مسند الإمام أحمد (132/8) (8019) بزيادة ((ولم يخبث الطعام)) كما عند مسلم . قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح

[6] - مقال: " شبهات المعاصرين حول حديث ((لولا بنو إسرائيل لم يخنَز اللحم)) –عرض ونقد- "، نبيل أحمد بلهي الجزائري، مجلة الميزان للدراسات افسلامية والقانونية، مج1، عدد2، رجب 1435هـ/ أيار 2014م.ص 501.

2- اتّفق كثيرٌ من الشّراح للحديث على أنَّ الخيانة لم تكن في الفراش -كما قد يتبادر للذهن-[1] لأنَّه لم يَرِد ذِكرُ نوعِ الخيانة في الحديث؛ وإنّما فهم الشرّاح أنّ حوّاء قد زيّنت لزوجِها الأكل من الشجرة، وهو أمرٌ سكت عن تفصيلِه القرآنُ الكريمُ وإنّما جاء الخطاب لهما جميعا في كثير من الآيات نحو قوله تعالى: [

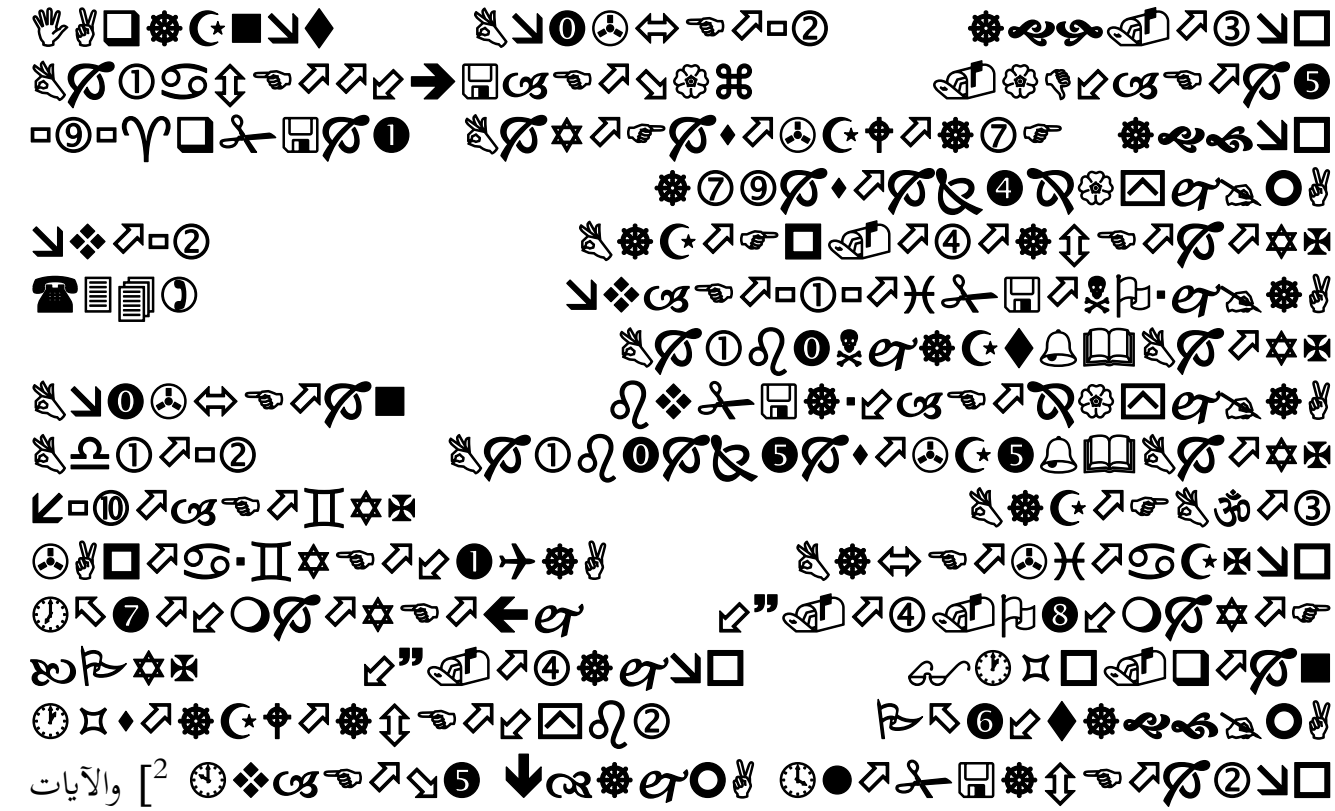

والآيات [2]

تدل علي أن الطرف الثالث هنا وهو سبب الخيانة هو الشيطان !!

إذن فالآيات قد بيَّنت أنَّ الخطأ وقع منهما جميعا، وأن الوسوسة وقعت لهما معا، وليس لحواء وحدها؛ بل أتت آيات لتخُصَّ آدم بالعتاب وحده كقول الله عزَّ وجلَّ: [

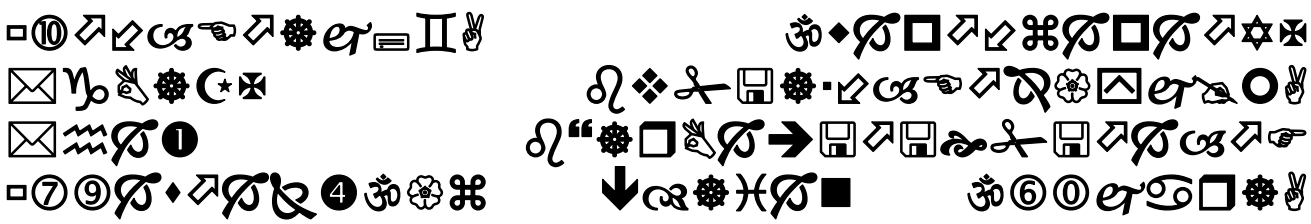

---

[1] - بل إنَّ هذا المعنى المنحط الذي يُنزَّه عنه الأنبياء قد فهمَه بعض الكتاب الحداثيين المعاصرين كابن قرناس: "... أما أن يكون سبب الزنا هو حواء، فهو اعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي،أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود". [الحديث والقرآن، ابن قرناس، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2008م، ص 333] . و زكريا أوزون، الذي تناول هذا المتن في كتابه "جناية الإمام البخاري" فقال: "من الناحية العلمية والعملية يخنز اللحم (أي ينتن)، وكذلك فالمرأة تخون زوجها كحقيقة علمية وموضوعية -حسب أبى هريرة- فكما أن اللحم ينتن، فإن المرأة تخون؛ ومن هي الخائنة للزوج تحديداً؟! من هي خائنة بيت الزوجية؟! أليست الزانية! فما رأيك سيدتي المرأة، وما هو مبرر صلاتك وصيامك وحجابك مادمت خائنة لزوجك دوماً". ينظر: جناية الإمام البخاري، زكريا أوزون، دار رياض الريس، بيروت، ط1، 2004م، ص120.

[2] - سورة البقرة، الآية 35،34.

[﴿ ﴾]. [1] [2]

وعلى رأي بعض الباحثين[3] فإنّ أساس هذه الطعون هو النّظر إلى الحديث بعين الشّراح والمفسرين؛ "فكل من طعن في هذا الحديث طعن بناء على أن هذا الحديث قد اتُّفِق على معناه، وأن أقوال الشراح تواترت تقريباً في أن المراد منه خروج آدم وحواء من الجنة كما مرّ النّقلُ معنا من فهوم العلماء للحديث، الأمر الذي صرف الأذهان جميعها عند قراءة الحديث إلى ربطِه بقصة خروج آدم وحواء من الجنة كما وردت عند أهل الكتاب، وأنّ حواء هي الأصل في هذا الخروج كما تقول الإسرائيليات[4].

ثمَّ تساءل الباحث : لماذا ارتضى علماء المسلمين التفسير المستقى من الإسرائيليات للحديث، وهو مخالف لما جاء به القرآن، وابتعدوا عن شرح الحديث بناء على النظرة الإسلامية المتوافقة للقرآن؟! وهل يعقل أن نقبل أن يشرحَ الحديث الرواياتُ الإسرائيلية، ونبتعد عن منهجية الإسلام في النظر إلى دور آدم وحواء (أو قل الرجل والمرأة) في إعمار الكون؟!

فكان جوابُه: إن الحديث يعطي ترسيخاً رائعاً لبيان تكامل دور كل من الرجل والمرأة بناء على تأصيل زمني ووظيفي لوجود الرجل والمرأة على سطح الأرض؛ فآدم عليه السلام هو أول رجل رِساليّ على وجه الكرة الأرضية، وقد جاء إلى الكون لتعميره وإرساء هذه الرسالة فيه، وهذا معنى الخلافة في الأرض، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حواء فهي إمرأة صاحبة رسالة تؤديها أيضاً على هذه الأرض، ومطلوب من آدم عليه السلام وحواء صاحبة الرسالة تكوين نواة الأسرة، بل قل الأمَّة الرسالية، وليس كما تقول الإسرائيلياتُ إنها جاءَت لتسليةِ الرَّجلِ ومتعتِه فقط، بل لها دور رِساليٌّ أصَّلته الآيات القرآنية التي تبين أن المسؤولية في حمل هذا الدين وإرساءِ قواعدِه هي مسؤوليةٌ مشتركةٌ بين المؤمنين والمؤمنات؛ وعندما وَسوَسَ الشّيطان لآدم عليه السّلام ابتداء، وهذا نَستَقِيه من قوله Y: [﴿ ﴾] [5] غَوَتْه نفسُه بفِعلِ وسْوسَة الشَّيطانِ فأكل، وهذا مُخالِفٌ لدَوْرِه

---

[1] - سورة طه، الاية117.

[2] - مقال: " حديث لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدَّهر.. إشكالية، أسباب وحلول"، محمد أبو الليث الخيرآبادي، مجة آسيا اليوم، مج8، عدد1، يونيو 2011م، ص74.

3 - مقال:" نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً"، نماء محمد البنا، مجلة إسلامية المعرفة، السنة14، عدد 67، 1433هـ/2012م، ص38-40.

[4] - قد أشار إلى بطلان هذه القصّة الدكتور أبو شهبة في كتابه: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، مصر، ط4، 1408ه، ص178،179.

[5] - سورة طه، الاية 118.

الرِّساليّ الذي يُحتِّم عليه الالتزام بأوامر رب العزة عز وجل ونواهيه، ومجاهدة النفس مقابل أداء سليم ومُتفَوِّقٍ لدورِه الرّساليّ، فهو في لحظات غفل عن هذا الدور، لكن سرعان ما رجع وتاب، فتاب الله عليه.

إلا أن الأمر قبل التوبة أن الإسلام جعل للمرأة دوراً رسالياً خطيراً، وبالذات في أسرتِها، وبالأخَصِّ مع زوجِها، فهي ليست تابعةٌ له بكلِّ أفعالِه، بل هي صاحبةُ دَورٍ رساليّ تَلتزِمُ بدايةً بما تُمليهِ عليها رسالتُها قبل أيِّ شيءٍ آخر، وهنا كان يَنبغِي للمرأةِ (لحواء الرسالية) أن تتنبه لدورها وتقوم بواجبها الرسالي وهو نصيحةُ الزوج بعدم الأكل، والنُّصح له بعدم امتثال أمرٍ يُخالِفُ مُقتضى الرّسالة، فلمَّا قَدر الشيطان على حواء أيضاً ووسوسَ لها، تنحّت عن هذا الدور، واتبعت الرغبات والأهواء بنزعة أُنثويَّة لا رسالية، ولم تقم بواجبها في النُّصح، فَعُدَّ هذا الأمر المُهم خيانةً منها للزَّوج، ولذلك جاء في الحديث ((لم تخُن أنثَى زوجَها))، ولم يقل ((لم تخُن امرأةٌ زوجَها)).

فالحديث فيه تحذير وتأصيل، من خلال ربطِه بصاحبةِ الدَّور الرّسالي الأولى، في أن لكل امرأة دورين؛ الدور الرسالي وهو الدور الأول والأصل والأساس لوجودها، وذلك بمشاركتها الرَّجل الرِّسالي في حمل الأمانة وإعمار الكون؛ والدور الثاني وهو الدور الأنثوي اللازم لإمداد الإعمار واستمراره إلى ما شاء الله، ويحل في المرتبة الثانية لأنه خادم للدور الأول، وفيه النزوات والشهوات التي قد يضبطها الإسلام ويُحدِّدُها ليكونَ أداؤها في دورِها الرسالي يليق بمهمتها، فالدور الأنثوي يَحُثُّ المرأة على التزين والتجمل وهو مركَّب في أنوثتها، إلا أنه إذا تعارض مع دورها الرسالي في أحد مناحي الحياة، تقدَّم دورها الرسالي"[1].

وقد سَبَق إلى هذا الرأي ابن الجوزي رحمه الله حيث قال:" ...وأما خيانة حواء زوجها فإنها كانت في ترك النصيحة في أمر الشجرة لا في غَير ذلك"[2]؛ وهو تخريجٌ وتوجيهٌ له وَجاهَةٌ، وهو أقرب لمفهوم النّصّ القرآنيّ.[3]

---

[1] - ينظر: *مقال:" نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً"، نماء محمد البنا، مجلة إسلامية المعرفة، السنة14، عدد 67، 1433هـ/2012م، ص38-40.*

[2] - كشف المشكل من حديث الصحيحين (504/3).

[3] - الخيانة في القرآن الكريم، محمد أحمد محمود الحاج حسن، رسالة ماجيستير، كلية اصول الدين، جامعة النجاح، نابلس،2010م، ص49.